

الأمم المتحدة وفن الغدر

جون بولتون

سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة (2005-2006)
باحث أساسي في مركز اميريكان انتربرايز



صحيفة وول ستريت جورنال

13 نوفمبر 2008

THE WALL STREET JOURNAL

A Honey Pot for Saddam

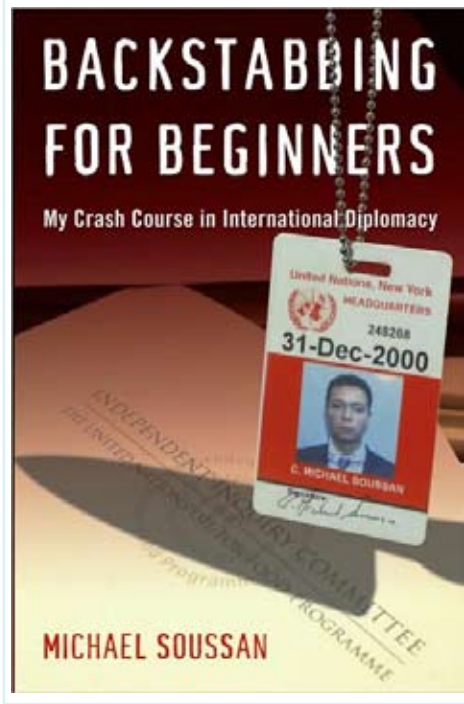
by John R. Bolton

The Wall Street Journal

ترجمة: علي الحارس

أمضى باراك اوباما جزءا لا بأس به من حملته الانتخابية وهو يتحدث عن حاجة أمريكا إلى «استعادة» سمعتها الحسنة في العالم، وأنه من أجل ذلك ينبغي تجديد التزامها بمبدأ «الحوار» والتدخل في الشؤون الملحة للمنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة. وأيا كان الشخص الذي سوف يختاره اوباما سفيرا لأمريكا في الأمم المتحدة، فربما عليه أولا أن يلقي نظرة على كتاب (فن الغدر للمبتدئين) لمؤلفه مايكل سوسان الذي يعتبر من منتقدي عمل الأمم المتحدة بطريقة منطقية.

الأمم المتحدة وفن الغدر



فقبل اثني عشر عاما كان سوسان مولعا بالأمم المتحدة كما هو حال اوباما اليوم. وفي عام 1997. وكان حينها قد تخرج للتو من جامعة براون ممتلئا بالحماس «لإحداث فرق». انتهز بحماس فرصة للعمل مع هذه المنظمة الدولية. لكن أعواما ثلاثة من خبرة العمل عن قرب مع برنامج مساعدات الأمم المتحدة في العراق (برنامج النفط مقابل الغذاء). سرعان ما فتحت عينيه على الحقيقة.

تم إنشاء (برنامج النفط مقابل الغذاء) في الأصل من أجل السماح لنظام صدام. الذي

كان يعمل حينها تحت سلطة عقوبات الأمم المتحدة. باستعمال عوائد مبيعات النفط المحدودة لشراء الغذاء والمواد الضرورية الأخرى التي يحتاجها الشعب العراقي. ولكن الواقع. كما ذكره سوسان بالتفاصيل الحاسمة. يظهر البرنامج وقد غاص في مستنقع الفساد والإهمال الإداري والدعم الفعلي لنظام صدام الظالم.

ومن الملاحظ في الكتاب أنه رغم الاشمئزاز الذي يشعر به سوسان جراء فضيحة (برنامج النفط مقابل الغذاء). فإنه يصرح بأن ما يملكه من «إيمان بالحاجة إلى حكومة عالمية» لا يزال قويا. وربما يُعذر الأمريكيون إذا اتخذوا رد فعل معاكس. وبالأخص عندما تتجاوز انتقادات سوسان (برنامج النفط مقابل الغذاء) ليسلط الضوء. مثلا. على الجمعية العامة للأمم المتحدة التي «تتمثل أكبر إنجازاتها في إقرار ميزانيتها». ومع ذلك. فإن إيمان سوسان الذي لا يتزعزع بمنافع «الحكومة العالمية» هو بالذات ما يجعل تقريره عن الأمم المتحدة على ذلك القدر من الإرباك.

الأمم المتحدة وفن الغدر

ربما كان سوسان يتطلع إلى دور تقوم به في المستقبل مجموعة من الدول تعمل لتجسيد مبادئ ميثاق الأمم المتحدة. وذلك لأن آراءه حول الوضع الحالي لا لبس فيها. حيث يقول: «كنت سعيدا بأني لم أعد أعمل لدى منظمة تقيّم أداء موظفيها بحسب قابليتهم على تعطيل أعينهم وأذانهم وألسنتهم في وجه الحجم الهائل للفشل والفساد». فهل يمكن لأي منتقد لأداء الأمم المتحدة أن يدلي بعبارة أبلغ من هذه؟

ويشرح سوسان في كتابه كيف أن المستويات القيادية العليا في الأمم المتحدة. وبالأخص الأمين العام السابق كوفي عنان. سمحت لصدام بالاستيلاء على (برنامج النفط مقابل الغذاء) وتشويهه ليلائم حاجاته الديكتاتورية. وبينما لعبت اللامبالاة وانعدام الكفاءة والإدارة السيئة دورا أساسيا أكيدا في هذا الفشل الذريع. فإن السبب الرئيسي لذلك كان عدم تأييد المسؤولين الكبار ومعظم موظفيهم للعقوبات الاقتصادية التي فرضها مجلس الأمن على العراق. وعلى أساس ذلك كان المسؤولون عن (برنامج النفط مقابل الغذاء) سعيدين برؤية العقوبات وهي تنهار بالفعل. وهو موقف تلقى دعما سياسيا من خلال المراقبة الكاملة للعقوبات من خلال أعضاء في مجلس الأمن مثل روسيا وفرنسا.

ويشير كتاب سوسان. على سبيل المثال. إلى أن موظفي الأمم المتحدة المسؤولين عن مراقبة توزيع السلع الإنسانية المشتراة بموجب (برنامج النفط مقابل الغذاء) في العراق كانوا بالفعل تحت سيطرة صدام. مع أنهم لم يعترفوا أبدا بأن الأمور وصلت إلى هذا الحد. ويذكر سوسان أن وكالات الأمم المتحدة في العراق امتزجت بالواقع المحلي وشرعت بالتماهي مع مطالب نظام صدام بأن «العقوبات على العراق يجب أن ترفع فورا». بل إن سوسان يقول: «حتى أن صحيفة الجامعة التي درست فيها كانت ذات آلية أكثر دقة في تحري الحقيقة مقارنة بالآلية التي اتبعها مراقبو الأمم المتحدة في العراق». وينقل سوسان أنه في أحد الاجتماعات في بغداد كان خطاب موظفي الأمم المتحدة «يبدو تماما كما لو أنه خطاب مسؤولي الحكومة العراقية». وبالفعل كان هذا واقع الأمر: حيث كان لمنسق الشؤون الإنسانية لهيئة الأمم المتحدة في العراق. دينيس هاليداي. تصريح في

الأمم المتحدة وفن الغدر

بداية عمل (برنامج النفط مقابل الغذاء) اشتكى فيه من أن الولايات المتحدة قد اختطفت الأمم المتحدة بالفعل. وحولتها إلى «مسخرة» و«قوة سرطانية».

لقد استمر موظفو الأمم المتحدة بالتظاهر مع أنهم علموا جيدا بأنه مهما كانت الصعاب والمظالم الموجودة في العراق فإنها لم تكن بسبب العقوبات، بل بسبب سيطرة صدام على توزيع المساعدات الإنسانية. وعن هذا يقول سوسان في كتابه: «كان من الواضح للجميع أن المستشفيات في تكريت، مسقط رأس صدام، تمتلئ مخازنها بالمؤن، بينما بقيت مثيلاتها في الجنوب الشيعي لا تتمتع بمؤن كافية». ومقابل هذا الدليل الهائل لم تقم كل من الأمانة العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن بالقيام بأي تصرف إزاء مثل هذا الخرق الكبير. وهذا مبرر متين لكلام بول فولكر، المحقق في (برنامج النفط مقابل الغذاء). حينما قال أن الأمم المتحدة كانت في قبضة «ثقافة اللاعمل».

وأسوأ من هذا ما يورده سوسان حين يقول: «كان فريق العمل المحيط بكوفي عنان متحالفا بالسر مع مواقف الناشطين في مجال مناهضة العقوبات». وفي تصريح علني قام عنان بالاستهانة بمهمة «مجرد» تنفيذ قرارات مجلس الأمن مع أنها المسؤولية الأهم للأمين العام في ميثاق الأمم المتحدة؛ وذلك لأن عنان كانت لديه أهداف أكبر ينوي تحقيقها: حيث جعل مساعديه ينقلون إلى وسائل الإعلام، والتي رضيت دائما بمقعد المتلقي، بأن الأمين العام للأمم المتحدة هو بالضرورة شخص منزه عن الشبهات مثل بابا الفاتيكان ولكنه «بابا علماني». وهو دور كثيرا ما كان ينظر عنان إلى نفسه باعتباره مجسدا له.

وبينما كان عنان وأتباعه يضعفون العقوبات المفروضة على العراق ويرفضون تولي مسؤولية توضيح الشبهات الدائرة حول (برنامج النفط مقابل الغذاء). كان الأمين العام بذاته يعمل خارج إطار هذا الجدل في مسعاه نحو ما دعاه بأنه «واجبي المقدس». فمضى إلى بغداد عام 1998 ليتوسل صدام طالبا منه التعاون مع مفتشي أسلحة الدمار الشامل التابعين للأمم المتحدة. وعندما عاد إلى مقر الأمم المتحدة تم ترتيب حفل استقبال

الأمم المتحدة وفن الغدر

للتهنئة بالسلامة. وفيه أعلن عنان لموظفيه أنه في بغداد «كان محاطا بدعاء العالم له».

من الواضح أن ذلك الدعاء لم تكتب له الاستجابة. إذ سرعان ما عاد صدام إلى دأبه السابق في مضايقة مفتشي الأسلحة ورفض الاستجابة لقرارات مجلس الأمن. وكان أن دفع سلوكه المتعنت هذا إدارة كلينتون إلى شن عملية (ثعلب الصحراء) التي لم تكن كافية. وإنما كانت عملا انتقاميا تمثل بقصف دام أربعة أيام في ديسمبر عام 1998. وبشعور من الزهو بالهالة المحيطة به قال عنان حينها عن العملية: «هذا يوم حزين بالنسبة للأمم المتحدة والعالم. كما إنه يوم حزين جدا بالنسبة لي شخصيا». حزين بالنسبة له. لا شك في ذلك. وذلك لأن عنان والكثيرين في الأمم المتحدة رغبوا. ولا يزالون. بالاستقلالية عن إدارة ونفوذ عضو المنظمة نفسه الذي يشكل نظام الأمم المتحدة ويموله. ألا وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

إن المثال المؤسف الذي يقدمه سوسان في كتابه حول الأمم المتحدة عندما تعمل. يضع إدارة اوباما العتيدة في موضع العلم بحقيقة ما يجري في كواليس الأمم المتحدة دون أي غموض.